

الفضاء الإلكتروني – مفاهيم ودلالات-، رؤية سوسيولوجية تحليلية.

Cyberspace - concepts and implications - an analytical sociological vision

1. ذيب محمد، Dhib Mohammed، علم الاجتماع العام، مخبر التنمية وخدمة المجتمع، جامعة الوادي، dhib-mohammed@univ-eloued.dz.
 2. فارس فزاع، Fezzaa Fares، علم اجتماع الاتصال، مخبر الدراسات والبحوث في التنمية، جامعة برج بوعريريج، fezzaafares2@gmail.com.
- تاريخ الاستلام: 2020/11/09 تاريخ القبول: 2020/12/29

ملخص:

يعد مفهوم الفضاء الإلكتروني من أصعب وأعقد المفاهيم التي شغلت إهتمام الكثير من الباحثين في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية عامة والاتصالية خاصة، بالنظر لما يتميز به من خصائص ساهمت في بناء وتنظيم وتسيير المجتمعات، وعليه هدفت هذه الدراسة لتوضيح الغموض الذي يحيط بالمفهوم انطلاقا من المصطلحات الرئيسية التي ساهمت في بناء هذا المفهوم وتحديد ايدولوجية، وابعاد الفضاء الإلكتروني. كلمات مفتاحية: فضاء إلكتروني، تكنولوجيا اتصال، ايدولوجية فضاء الكتروني .

Abstract:

The concept of cyberspace is one of the most difficult and complex concepts that have preoccupied the interest of many researchers in the field of human, social and communication sciences in general, especially in view of its characteristics that have contributed to the construction and management of societies and the study aims at clarifying the ambiguity surrounding the concept from the main terminology That contributed to the construction of this concept and the identification of the ideology and dimensions of cyberspace.

Key words: Cyberspace; communication technology; the ideology cyberspace

مقدمة:

شهد العالم منذ بداية القرن الواحد والعشرين طفرة علمية غير مسبوقة، وتحولات جذرية في مجال المعلومات والاتصالات، بلغت ذروتها في التزاوج بين تكنولوجيا الحواسيب وتكنولوجيا الأقمار الصناعية، حيث تلاشت الحدود الجغرافية و تقاربت المسافات، وحولت هذه التكنولوجيا العالم الى قرية صغيرة يعرف سكانها كل ما يجري لحظة بلحظة، حيث أسهمت ثورة الويب 2.0 في إنتاج فضاء الكتروني، لم يكن متوقعا وجوده من قبل، يتجسد في منصات مواقع شبكات التواصل الاجتماعي على غرار الفيسبوك، التويتر، الانستغرام، السناب شات، كفضاء للتعبير والحوار والنقاش العام حول مسائل متعددة و متنوعة تهم افراد المجتمع الواحد، وكذلك افراد المجتمعات المختلفة. حيث لا يشترط في تأسيس هذه الجماعات بيئة جغرافية واحدة أو هيكل أو بناء محدد لها كما هو متعارف عليه في الجماعات التقليدية لكن تتم العضوية في المجتمعات من خلال معرفة العضو المتفاعل من خلال استخدام تقنية العبور الى الجماعة والاهتمامات المشتركة مشكلة بذلك ما اصطلاح على تسميته بالمجتمعات الافتراضية التي تعكس بدورها ايدولوجيات وابعاد جديدة متعلقة بالفضاء الالكتروني كفضاء مواز للفضاء العام، وعليه تتمحور إشكالية هذه الورقة البحثية في التساؤل الاتي: ماهو الفضاء الالكتروني في ظل التحليل السوسيولوجي؟ وستتطرق من خلال هذه الورقة بالتحليل والنقاش الى مفهوم الفضاء الالكتروني من الناحية السوسيولوجية، وستعرض الى المفاهيم المقاربة للفضاء الالكتروني، والوقوف على الخلفية الايدولوجية وخصائص الفضاء الالكتروني. **أولا. مفهوم الفضاء الالكتروني من الناحية السوسيولوجية :**

1- مفهوم الفضاء الإلكتروني: هو المكان الذي اوجدته تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، و في مقدمتها الأنترنت، ويرتبط الفضاء الالكتروني ارتباطا وثيقا بالعالم المادي، عبر البنى التحتية المختلفة للاتصالات، والأنظمة المعلوماتية، وعبر العديد من الخدمات، التي لم يكن بالإمكان الحصول عليها من دونه . كما يمكن تعريفه على أنه : عالم افتراضي تربطه شبكة عالمية، وهو عالم يقوم على الكمبيوتر، اي يتم الدخول إليه عبر الكمبيوتر، وهو عالم مصنوع و متعدد الأبعاد. وفي الإستخدام اليومي فان مصطلح الفضاء الرقمي يشمل شبكة الانترنت، والقوائم البريدية الالكترونية ومجموعات ومنتديات النقاش وغرف الدردشة والبريد الإلكتروني، بالإضافة الى شبكات التواصل الاجتماعي¹. وكلما اتسعت الرقعة الجغرافية لاستخدامات مواقع التواصل الاجتماعي وتعززت نوعيتها كلما اتسعت دائرة الاتصال بالفضاء الإلكتروني، وتساعد اهتمام الافراد والدول بالفرص التي يمكن الافادة منها كما تساعد الاهتمام بالمخاطر التي يمكن ان يمثلها هذا الإتساع، من هنا ارتقى الإهتمام بالفضاء الإلكتروني إلى المراتب الاولى في اهتمامات واضعي السياسات العامة². يعرف جوزيف ناي الفضاء الالكتروني على انه : نطاق تشغيلي محكم باستخدام الالكترونيات لإكتشاف المعلومات عبر انظمة مترابطة ببعضها البعض و ببنية تحتية لها³.

كما يعرف جويل روزنباي الفضاء الالكتروني : بوصفه فضاء يجمع بين مكونين هما الفضاء و الزمان الإلكترونيين ، تم خلقه بواسطة شبكات التواصل الاجتماعي التي اقيمت بين الحواسيب ، انه فضاء للشبكات الالية والعضوية المترابطة فيما بينها بشكل متناهي بلا حدود⁴. ويعرفه ريد برك مايور : هذا المفهوم على انه بيئة إنسانية و تكنولوجيا جديدة للتعبير والمعلومات والتبادل للتعبير عن الرأي العام، يكون أساسا من دائرة وسطية تكونت تاريخيا بين المجتمع المدني والدولة، وهو متاح لجميع المواطن، هذا ويشير برنامج مياج إلى ان تنظيم الفضاء العمومي يتم من خلال أربع نماذج للتواصل تعاقب تكونها تدريجيا

الفضاء الإلكتروني - مفاهيم ودلالات-، رؤية سوسيولوجية تحليلية.

بواسطة صحافة الرأي و بعدها الصحافة التجارية الجماهيرية و أخيرا التلفزة الجماهيرية كما أشار هابرماس إلى نجاح المجال العام يعتمد على :

- مدى الوصول و الإنتشار

- درجة التحكم الذاتي (المواطنون يجب ان يكونوا أحرارا و يتخلصوا من الهيمنة و السيطرة)⁵.

وعليه يمكن القول ان الفضاء الإلكتروني هو: مجتمع جديد إعتد في تطوره بصفة رئيسية على المعلومات والحاسبات الآلية و شبكات الاتصال.

1-1 هوية ظاهرة الفضاء الإلكتروني :

بدا الفضاء الرقمي مساره العلمي تكملة في أدب الخيال سنة 1980، و في التسعينات من القرن الماضي أصبح يشير إلى جميع الأشخاص الذين يعيشون في مكان واحد أو مؤسسة أو بيت و هم في حاجة إلى الإعتناء ببعضهم البعض عن طريق تقسيم و توفير المستلزمات الضرورية ، ثم اتسع نطاق استخامه من قبل محترفي الكمبيوتر والهواة، من استخدامات الانترنت والشبكات والإتصالات الرقمية التي كانت تنمو بشكل كبير، و كان مصطلح الفضاء الرقمي قادرا على تمثيل العديد من الأفكار و الظواهر الجديدة، ان اصل مصطلح الفضاء الرقمي هو السبرنيطقيا او علم التحكم الآلي و المستمدة من اليونانية القديمة "kybernetes" التي تعني التحكم في القيادة ، و قدمت هذه الكلمة من قبل "نوربرت وينر" الذي عمل كرائد في مجال الإتصالات الإلكترونية و علوم السيطرة⁶.

كذلك تستخدم كلمة "cyber" مقترنة بكلمة "space" لتعبر عن اشهر تعبير في عصر المعلومات وأستخدمت "cyber space" للتعبير عن الأنترنت في عام 1991، وأصبح هذا المفهوم أشمل ووسع من الأنترنت ليضم كالاتصالات والشبكات وقواعد البيانات ومصادر المعلومات ، حيث انها ذات طبيعة افتراضية رقمية تتحرك في بيئة إلكترونية حيوية تعمل من خلال خطوط الهاتف والكابلات والإتصالات والألياف البصرية والموجات الكهرومغناطيسية، وتقترب العلاقة بين العالم المادي والعالم الواقعي بحيث يحصل مستخدمو الكمبيوتر على خيارات لا وجود لها، يكتبونها عن طريق الإستخدام فتؤثر بذلك المكونات الإلكترونية على العالم المادي والذي يمكن أن نسمعه ونراه ونتأثر به ونقراه، وأصبحت قوة الكمبيوتر والشبكات تتزايد عاما بعد عام ، لتجعل من السهل إدراك وجود هذا المكون الإلكتروني⁷.

وهذا ما جعل الناس يرون في الفضاء الإلكتروني عالما مواز للواقع الذي نعيش فيه يعد الفضاء الإلكتروني عبارة عن فيض رقمي من المعلومات لا يعتمد كليا على البيئة المحسوبة التي توفرها شبكات المعلومات ، بل تتعامل أيضا بكثافة مع مفرداته .

ويحمل مصطلح الفضاء الإلكتروني عددا من المعاني المختلفة في رواية Neuromancer لوليام جيبسون ، حيث يعني عالم بديل مصنوع من كم هائل من المعلومات القادمة من الشركات و المؤسسات والحكومات و الأفراد التي يدخل اليها المستخدم⁸.

وقد اهتم الباحثون في فترة مبكرة من ظهور و انتشار الأنترنت ببحث الإمكانيات التي يوفرها الفضاء الإلكتروني، و انتهى "دهلبرج" 1999 إلى أن الفضاء الإلكتروني الذي يمثل نقطة الإرتكاز في الأنترنت زاد من الآمال بان تعزز الوسيلة الجديدة التوجهات الديمقراطية في العالم ، على أساس أنه يمثل مكانا للإجتماع الع تخلفه شبكات الكمبيوتر، ويتمكن فيه الناس من التفاعل معا و التشارك في المعلومات، وقد بحث "دهلبرج" هذه الإمكانيات و علاقتها بالاقتصاد السياسي للأنترنت و طرق التحكم فيه، وانتهى الى ان هذه الإمكانيات تبدو محدودة بسبب تزايد الطبيعة الاستعمارية للفضاء الإلكتروني، ومع تطور البحث في وسائل الاعلام الجديدة، طور الباحثون مفاهيم فرعية مشتقة من مفهوم الفضاء الإلكتروني، منها الفضاء السيبراني، الفضاء الرقمي، العالم الافتراضي، وكلها مصطلحات تستخدم بمعنى واحد، فالفضاء الإلكتروني أكبر من الأنترنت لأنه يتضمن ايضا قدرات مثل توجيه الطاقة التي توجد في جزء من الموجات

الفضاء الإلكتروني – مفاهيم ودلالات-، رؤية سوسيولوجية تحليلية.

الكهرومغناطيسية، ويعد مكوناً منشأ، أي تم بناءه من خلال الشبكات وأجهزة الكمبيوتر وهو منتشر في أماكن متعددة في نفس التوقيت، كما يعد الفضاء الإلكتروني مجالا عاما و سوقا مفتوحا ويدل على وجود شبكة من التواصل والعلاقات بين من يستخدمونه ويتفاعلون معه، مع انتقال كافة مجالات الحياة من الاعلام والصحة والتعليم والحكومة والمواطنة والاقتصاد الى الفضاء الإلكتروني فيما يشبه الحياة الواقعية، الى جانب ذلك أصبح الفضاء الإلكتروني وسيطا ووسيلة في نفس الوقت لتنفيذ الاعمال⁹.

وبعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعي منذ 2014 كتجربة إجتماعية مميزة، أصبح بإمكان الأفراد التفاعل وتبادل الأفكار والمعلومات وتوفير الدعم الاجتماعي وخلق الوسائط والمدونات وغيرها، وكل ذلك باستخدام الشبكة العالمية، حيث أصبح الفضاء الإلكتروني وسيلة لوصف أي شيء يرتبط مع شبكة الأنترنت، كما يعرف أكثر التفاعلات الإجتماعية حركية في التاريخ البشري، فهو أكبر المجالات إنتاجا للمحتوى التواصلية، لأن المتوسط الحسابي للمتفاعلين في الفضاء الإلكتروني هو أكبر من المتوسط الحسابي للمتواصلين في العالم الحقيقي¹⁰.

ويمكن القول بان الفضاء الإلكتروني أصبح العصب الحيوي في حركة الأمم و تطورها، وسلاح حاسم ينتصر فيه من يمتلكه فقط، حيث أن العالم انطلق في ثورة تكنولوجية جديدة والتي تحولت فيه أجهزة الحواسيب وشبكات الإتصالات من دورها التقليدي كأدوات تكنولوجية لأداء الأعمال، وتطوير الإنتاج والخدمات الى فضاء للتفاعل وإقامة العلاقات مشكلة بذلك فضاء افتراضيا مواز للفضاء العام الحقيقي.

ثانيا. المفاهيم المقاربة للفضاء الإلكتروني

1 - الفضاء العام: عرف هابرماس الفضاء العام بأنه مجتمع افتراضي أو معياري ليس من الضروري ان يتواجد في مكان معروف او مميز (في أي فضاء)، فهو مكون من مجموعة من الأفراد لهم سمات مشتركة مجتمعين مع بعضهم كجمهور، و يقومون بوضع و تحديد احتياجات المجتمع مع الدولة، فهو يبرز الآراء و الاتجاهات من خلال السلوكيات والحوار، والتي تسعى للتأكيد على الشؤون العامة للدولة و هو شكل مثالي، والفضاء العمومي بشكل عام هو تلك المساحات التي يقوم فيها الأعضاء بتناول ما يفضلونه، ويصلون لتوافقات حول قضايا ومتطلبات العيش، وهناك ثلاثة مظاهر تميز الفضاء العمومي أولا ان المشاركة فيه مفتوحة، وثانيا انها يساوي بين مواقع وأدوار الأطراف المشاركة¹¹.

2 - تكنولوجيا الإتصال: مفهوم تكنولوجيا الإتصال بالنسبة للمقاربات الرسمية ممثلة في المنظمتين الدولتين، الأمم المتحدة، ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، هي عبارة عن وسائل إلكترونية تنقل وتخزن وتنتشر المعلومات وتمثل الداعمة المادية لهذه التكنولوجيات بالنسبة للمؤلفين (becerril, lorente brenete) في الكهرباء، الإلكترونيك، والفوتوتيك، دعائمتها الفكرية والمعرفية في البرمجيات، أما تطبيقاتها فتشمل الإتصالات عن بعد، الإعلام الآلي، صناعة محتويات السمعي البصري والوسائط المتعددة، تكنولوجيا المعلومات هي التكنولوجيا المستعملة في تجميع وتخزين وإسترجاع المعلومات¹².

كما نتعرف أيضا على انها مجموعة التكنولوجيا المقدمة التي اتاحتها الحاسبات الالكترونية الدقيقة والاتصالات السلكية واللاسلكية المتطورة بواسطة الاقمار الصناعية وبغيرها والاستثمار عن بعد والمحطات الارضية والبحرية للاتصالات وشبكات بنوك المعلومات الالكترونية، وما تستخدمه من وسائل اتصال متطورة مباشرة وغير مباشرة وتعني ايضا اكتساب ومعالجة وتخزين واسترجاع ونشر المعلومات عن طريق التكامل بين الحاسبات الالكترونية ونظم الاتصالات الحديثة، كما تعني تكنولوجيا المعلومات مجموعة من المكونات المادية (الاجهزة و المعدات) المتمثلة في اجهزة الحاسب الآلي المختلفة وشبكات ووحدات الادخال والاخراج، والمكونات غير المادية والمتمثلة في برامج التشغيل والبرامج

الفضاء الإلكتروني – مفاهيم ودلالات-، رؤية سوسيولوجية تحليلية.

التطبيقية، بالإضافة الى الأفراد المتخصصين في تشغيل وبرمجة وصيانة وتدريب وتطوير وتحليل هذه التكنولوجيا بهدف جمع وتخزين ومعالجة وإسترجاع ونقل وتحديث المعلومات¹³.

3 - شبكة الحاسبات العالمية (الانترنت): يطلق عليه الطريق السريع الإلكتروني او الطريق السريع للمعلوماتية، وكلها أسماء تتردد للتعبير عن تقنية حديثة، ترتبط بتقارب انظمة الاتصالات والاعلام والمعلوماتية، وتوفير سرعة التوصيل لمضامينها، من اي مكان في العالم الى أي مكان آخر، وايضا توفير الإتصال في اتجاهين، والتخاطب بشتى الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة، كما أن الأنترنت عبارة عن شبكة عالمية ضخمة تربط بين الملايين من أجهزة الحاسب الآلي الموجودة في مناطق مختلفة حول العالم، وعموما فإن الأنترنت هي أجهزة حاسوب تتصل ببعضها البعض عن طريق وسائل اتصالات ببرامج تحقق انسياب وتدفق وتبادل البيانات¹⁴، اي انه يمكن اعتبار الانترنت احدى التطبيقات الاوسع انتشارا في العالم لظهور اندماج الحاسبات الالكترونية بأنظمة الاتصالات

4 - مواقع التواصل الاجتماعي : منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشاركة فيها بإنشاء موقع خاص به، ثم تربطه من خلال نظام إجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الإهتمامات والهويات نفسها، كما أنها مواقع ذات طابع إجتماعي تحاول ان تقدم واقعا افتراضيا للإلتقاء صعب المنال، من خلال تكوين شبكة من الأصدقاء والمعارف والأهل، من مختلف الأعمار والأجناس ومن كافة أنحاء العالم، وهي المواقع والخدمات الإلكترونية التي توفر سرعة وتوصيل المعلومات على نطاق واسع فهي مواقع لا تعطيك المعلومات فقط بل تتزامن وتتفاعل معك اثناء إمدادك لتلك المعلومات في نطاق شبكاتك وبذلك تكون أسلوب لتبادل المعلومات بشكل فوري عن طريق شبكة الأنترنت، وهي عبارة عن تركيبة إجتماعية إلكترونية تتم صناعتها من قبل أفراد أو جماعات أو مؤسسات وتتم تسمية الجزء الأساسي مثل فرد واحد باسم القعدة MODE ويتم توصيلها بأنواع مختلفة من العلاقات كتشيع فريق معين للإنتماء لشركة ما.¹⁵

5 - المجتمعات الافتراضية : ظهرت المجتمعات الافتراضية على الخط بفعل احتياجات التعليم مثل شبكة بلاتو، وإستخدام تكنولوجيا الحاسوب والاتصالات الإلكترونية منذ ثمانينات القرن الماضي، ثم إنبثق بعد ذلك ما يعرف بالمجتمعات الشبكية مع اوائل التسعينيات حيث تطورت في شكل جماعات معروفة من مستخدمي الانترنت، وتعتبر من اهم الطواهر التي ساهم الاعلام الجديد في تشكيلها.¹⁶

6 - التفاعل الافتراضي : يرى جيل دولوز في تعريفه ان الافتراضي لا يتعارض مع الحالي الراهن، فالافتراضي معبأ بالواقع، بمعنى الافتراضي يعكس الواقع، وان المضامين التي يتم تداولها في الفضاء الإلكتروني تستند الى الواقع او لعكسه، فالواقع الثقافي او المنفعي او حق الطموحات او الاعلام تنبع واقعيها من ادراك الافراد المتأصل في اذهانهم وتصورهم حول الواقع المعاش¹⁷.

تعد هذه المفاهيم المختلفة نسق جزئي من البناء الكلي لمفهوم الفضاء الإلكتروني حيث أنها مفاهيم ملحقه ومتعلقة به، التي من الضروري استحضارها، لتحديد وتعريفه على نحو أدق وأشمل، حيث ان الفضاء الإلكتروني هو نتاج لسيروية تاريخية لتطور تكنولوجيا الإتصال، يتجسد في شبكة الانترنت وبالأخص مواقع التواصل الاجتماعي التي تعد فضاء اتصالي بين أفراد المجتمع مشكلين بذلك مجتمعات افتراضية تلاشت فيه الحدود الجغرافية وكذلك مجالا واسعا وغير محدود للتفاعل الافتراضي.

ثالثا. الخلفيات الايديولوجية للفضاء الإلكتروني :

إن التطور المذهل الذي شهده على مستوى التقنية، و التوسع في استعمالها، و التوجه البشري نحوها حيث أصبح المجتمع الجديد الافتراضي ينظم حول الشبكات بعدما كان منتظما حول هرمية السلطات الاجتماعية والسياسية،

الفضاء الإلكتروني – مفاهيم ودلالات-، رؤية سوسيولوجية تحليلية.

وتحللت الأيديولوجية التي كانت تشغل تفكيرهم، لتحل محلها أيديولوجيات جديدة تعكس خلفيات التقنية والانترنت والعصر التي نذكر منها كالآتي :

1 - ايدولوجيا المعلومات :

ان المعلومة التي ابتدأت مع بداية التكوين الفعلي للعقل البشري، هي التي استمرت مع هذا التكوين في تشكيلاته الفردية والجماعية والمجتمعية، وبذلك أسست للكيان الإنساني، وانطلاقها من مفهومها المبسط كفكرة تأخذ تدرجها المعرفي في العقل البشري ومرورا بتفاعلها مع حياة الانسان اليومية، وصولا الى استقلالها في العصر الحديث، فقد اصبحت المعلومة تتجسد تقريبا في كل شيء يحيط بالبشر، وعندما ظهرت تكنولوجيا الصناعة إعتقد الناس انها ستخلصهم مما خلفته تكنولوجيا الزراعة من ظلم وفقر وجهل وغيرها من المخلفات، ثم إكتشفوا بعد ذلك ان تكنولوجيا الصناعة ادت الى تدمير البيئة واستنفاد المواد الطبيعية وزيادة الفجوة بين طبقات المجتمع، والإغتراب الإجتماعي، وتدني القيم الروحية، وعندما ظهرت تكنولوجيا المعلومات وهي تكنولوجيا نظيفة صديقة للبيئة وأعتقد ان هذه ستخلصهم من سلطة المؤسسات، وتتيح المعرفة للجميع، و تخلص العالم من أسباب النزاعات بفضل شفافية التواصل الانساني التي توفرها، فيتحول العالم الى مدينة صغيرة، لكن مارايناها فيما بعد، هو الحديث عن العنف الإلكتروني، ان المعرفة هي القوة التي تمكن من يمتلكها ان ينجز ما يعجز عنه الآخرون، و جاءت تكنولوجيا المعلومات لتضيف الى هذه القوة سرعة الانتشار، وامكانية الامتلاك لعامة الناس تكمن خطوة عصر المعلومات في طبيعة المعلومات بحد ذاتها¹⁸.

2 - الخلفية الايديولوجية للتقنية :

ان ما يظهر على المجتمعات من تغير للأحوال يأتي مرتبطا بالمظهر الخارجي للمرحلة التي تتأسس بإكمال تشكل السلوك الاجتماعي والتصور العام للواقع البشري، بغض النظر عن العوامل المختلفة للتعبير والتي تفيض بها المؤلفات الاجتماعية، يبرز العامل التقني كأقوى العوامل المؤثرة في عملية التغير، لدرجة ان مظهر التغير نفسه يقترن في غالبية الأحوال المجتمعية بنوعية التقنية المستعملة في ذات المرحلة، تماما مثلما غيرت الطباعة الثقافة العربية للابد، ان التقنية هي افراز بشري كما ان البشرية في حضارتها المتنوعة في افراز تقنية بشكل ما، لقد فرضت التقنية وجودها على الطبيعة وعلى العلم وعلى المعرفة بتاريخ الحضارة الإنسانية فالتقنية أكثر من اي عصر آخر، بالتالي كان أثرها عليه أعمق من اي مرحلة من مراحل حياته الاجتماعية، فبغض النظر عن مدى تعقيد نظام التقنية فسوف يكون استخدامه بالنسبة للإنسان أمرا عاديا في السهولة، لقد اوجدت التقنية تسهيلات فائقة للإنسان، وأصبحنا نبني تصورنا وفلسفتنا وثقافتنا وفقا لما تتطلبه التقنية وستظهر فلسفة التقنية في حياة الناس فيما يلي :

- التوقعات حول امن تقنية المعلومات غير ممكنة دون تقييم التغيرات في التقنية و حتى المجتمع بشكل عام .

- تقنيات جديدة تغير العالم الإلكتروني بشكل جذري، و تجعل غالبية الأجهزة المستخدمة في الوقت الراهن

ومصانعها غير مطلوبة .

- الأجهزة الخاصة بالألعاب ستحل مكانها فضاءات ألعاب افتراضية كبيرة متاحة للجميع .

- الأنظمة الحاسوبية المعقدة التي تتولى ادارة العمليات المختلفة، ستكون نعمة كبيرة أو نقمة كبيرة انطلاقا من

طريقة تعامل الناس الذكاء الصناعي ومدى جودة تشغيل هذه الأنظمة¹⁹.

4- الخلفية الايديولوجية للإنترنت :

الأنترنت من الأشياء القليلة التي بناها البشر دون ان يفهموها حجم الفهم، في كوسيلة لنقل المعلومات إلكتروني من حاسب الى حاسب، تحول الى منفذ متعدد الوجوه للطاقة البشرية والتعبير البشري منتشر في كل مكان ن فهي شيء غير ملموس، ولكنها في الوقت نفسه في حالة تغير دائم تزداد معها نموا وتعقيدا بمرور كل ثانية ولم يشهد التاريخ تجربة تضاهي الأنترنت في فوضويتها، فمئات الملايين من البشر يعملون كل دقيقة على إنتاج قدر غير مسبوق من المحتوى

الفضاء الإلكتروني - مفاهيم ودلالات-، رؤية سوسيولوجية تحليلية.

الرقعي في عالم افتراضي، ومع نمو هذا الفضاء سيتغير فهمنا لكل جانب من جوانب الحياة تقريبا، فالعوائق التي طالما وقفت في أوجه التواصل البشري، لاتنفك تنهافت جميعا بفضل التقنية، لتبرز بذلك موجة جديدة من الابداع ومن الإمكانيات البشرية، ويدفع التكني الجماهيري للأنترنت نحو أكثر التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية إثارة عبر التاريخ او تكون إثارة التغيير هذه المرة على خلاف الحقب السابقة شاملة كلياً اذ لم يحدث في التاريخ مطلقاً ان توفر بين أيدي من أماكن متنوعة جدا كل هذا القدر من القوة، مع استمرار الاتصالات العالمية في تقدمها غير المسبوق، ستوجب على الكثير من المؤسسات التأقلم معها والا فإنها ستجاذف بأن تصبح قديمة ومنفصلة عن المجتمع الحديث حيث أصبحت الأنترنت امراً مهماً في حياة الإنسان، تؤدي خدمات أساسية لصالح المجتمع في جميع المجالات والأهم من هذا أنها أكبر فضاء للاتصال الإنساني والتواصل الاجتماعي التفاهم بين مختلف الشعوب والثقافات في تاريخ البشر، وهو ما جعلها شعاراً للتسامح وقرار السلام هذه الوسيلة في الوقت ذاته اداة لتمديد الحياة الانسانية²⁰.

يمكننا القول ان ايدولوجية الفضاء الإلكتروني فيها العديد من المزايا فهي تجمع الجميع على أسس مشتركة وتحمل معها مزايا تمازج الثقافات، كما أنها تعبر عن فضاء للتواصل العلمي والثقافي والإستفادة من تجارب الآخرين، فهي مبنية على الحرية في التواصل الإنساني والاجتماعي والفكري والعلمي والإقتصادي.

رابعاً. الفضاء العمومي التقليدي والفضاء العمومي الإلكتروني :

ساهمت الثورة الإتصالية والتكنولوجية الجديدة لوسائل الإعلام الإلكترونية وعلى رأسها الأنترنت في ظهور فضاء عام إجتماعي جديد يخضع لمثالية " هابرماس" إلى حد كبير حيث القضايا العامة ومعارضة النظم السياسية التي ينتمون إليها وهو ما يطلق عليه البعض الفضاء المعلوماتي اذا كان الفضاء العمومي كما تحدث عنه هابرماس يعني ذلك المجال الذي يتم فيه الحوار والمناقشة وتبادل امكانية التواصل والتفاعل لمناقشة قضايا مجتمعهم المختلفة فان فضاءات الأنترنت الإتصالية تعد تجسيدا فعليا لما تحدث عنه هابرماس وبالخصوص فضاء التدوين الذي ينتعش بالحوارات والنقاشات العديدة بين اطراف وشرائح من المجتمع بدءاً من المواطن العادي والصحفي وصولاً الى السياسي وهو ما يجعله وفقاً للباحثين الفضاء الأمثل الذي يجسد الفضاء العمومي²¹.

1. خصائص الفضاء الإلكتروني مقابل الفضاء التقليدي :

- إعادة تشكيل الحدود بين العام والخاص : مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت تمثل فضاءات لبناء الهوية الفردية ولإستعراض الذات في المجال العمومي يطل من خلالها الناس على العوالم الذاتية للآخرين، وأضحى الأفراد كما الجماعات كما المؤسسات مطالبين بإعادة تموقعهم به، وهو ما يستوجب من الفاعلين تكويناً عالياً للإفادة من ذلك .

- أشكال جديدة من الفعل الاجتماعي : سمحت مواقع التواصل الاجتماعي للنخب السياسية المهمشة بتجاوز آليات تغييرها من الفضاء العمومي التقليدي الذي تسيطر عليها الدولة وشكلت فضاءات يحكمها الإنسجام الفكري تنتج مضامين سياسية وثقافية .

- جماليات جديدة : تتجلى في الفضاء العمومي الافتراضي العوالم الذاتية والآراء والأفكار العلاقة بشأن العام، وتتجلى هذه الجماليات في الطرق التعبيرية للمستخدمين من صور و نصوص و الفيديوها.

- المستخدم المبتكر : تحول الجمهور في الفضاء العمومي الافتراضي الى جمهور منتج للمحتوى، فهو ليس مجالاً تمثيلاً تتحدث فيه النخبة باسم الجماهير، كما في الفضاء العمومي النخبوي، فالمستخدم في الفضاء العمومي الافتراضي يبتكر وينتج مضامين قد تتعلق بالعوالم الذاتية للمستخدم أو ذات العلاقة بالحياة العامة.

- نخب جديدة : أفرزت مواقع التواصل الاجتماعي نخبا جديدة تتكون من المدونين ومشرفي الصفحات على الفيسبوك يسيطرون على النقاش و يديرونه²².

الفضاء الإلكتروني – مفاهيم ودلالات-، رؤية سوسيولوجية تحليلية.

وعليه أصبحت هذه الشبكات تلعب دورا هاما في ربط المجالات الخاصة للأفراد بمجالات عامة متعددة ، كما انها تلعب دورا مؤثرا و حيويا في تشكيل و بلورة الرأي العام متغلبة على قيود المجال العام التقليدي الذي لم يكن مفتوحا بصورة كافية لمشاركات الجميع نتيجة قيود المجال العام التقليدي التي تتعلق بالتمويل و الرقابة على وسائل العام.

2. الفضاء الإلكتروني الجزائري : يمكن حصرها من خلال الدراسة التي قام بها الباحث هواري حمزة كما يلي :

- بروز النخبة الشبابية الجديدة تتمثل في المشرفين على كبرى الصفحات التي تدير النقاش على الفيسبوك .
- إنقسام الفضاء العمومي إلى مجموعات إنطوائية يغلب عليها الطابع التنافري والعدائي في التعاطي مع قضايا الشأن العام .

- إنحصار المجال الخاص لصالح المجال العام.

- سيطرة الطابع الفضائي في تناول القضايا السياسية بدل النقد والجدل العقلاني الجاد.

- تشكل مجتمع المدني الإلكتروني بدل تجاوز اليات تهميشية من المجال العمومي التقليدي ، ووسطاء جدد بدل

وسطاء واقعيين .

- غياب الحوار والجدال والحجاج العقلاني في تناول قضايا ذات الشأن العام وسيطرة مفردات العمالة والتخوين

والعنف الرمزي²³ .

الخاتمة:

إن مفهوم الفضاء الإلكتروني يعد مفهوم مركزي في مجال الدراسات الإعلامية و غيرها من المجالات الأخرى سواء كانت اجتماعية، سياسية او اقتصادية باعتباره فضاء مفتوح يتعامل مع العالم من خلال شبكة إلكترونية لها استقلاليته من الداخل، وتقوم بنيتها على التقنيات الحديثة وهو أيضا انظمة التعامل مع الحاسوب، بحيث يمثل الحاسوب القاعدة الأساسية للفضاء الإلكتروني وتخرج منه قنوات أعمال تتم من خلال الحاسوب " صور، أصوات، رموز " حيث يمكن للأفراد ان يتواصلوا، يعملوا، ان يبدعوا أعمالا فنية اعلامية وان يتعلموا تعليما ذاتيا، كما ان الفضاء الإلكتروني له جوانبه الايجابية والسلبية بحيث يمنح الفضاء الإلكتروني من الناحية الإيجابية من يتعامل معه إحساسا بالمرونة في التعامل، السرعة في تبادل المعلومات، التفاعل اجتماعيا على نطاق واسع جدا، كما أنه فضاء للنقاش والجدال المبني على الحجاج، كما يعتبر فضاء بديل عن الفضاء العام بالنسبة للفئات المهمشة، كما انه يتميز بالتعددية المجتمعية بحيث يمكن الأفراد ان يتواصلوا مع مئات بل آلاف البشر من خلال الأنماط الإتصالية المتعددة والقدرة على التسجيل أي المقدرة على حفظ المعلومات أي ان المتعاملين يستطيعون ان يعيدوا تقييم، فهو جزء من التواصل فيما بينهم كما يتيح مجالا غير محدود للترفيه من خلال الألعاب، الموسيقى، الدردشة، وبعيدا عن الجوانب الإيجابية الواضحة في الفضاء الإلكتروني ، هناك العديد من الجوانب السلبية التي تحتاج ان نذكرها مثل الإفتقار الى التضافر الحسي، الإنغماس في عالم معلوماتي دون إنتقاء المحتوى السليم ومضايقات يمكن ان تسببها معوقات تقنية وإعادة تعريف الهوية والسلوك المنفتح الشعور بان السعادة لدى الآخرين، إدمان الفضاء الإلكتروني وأمام هذه الجوانب الإيجابية والسلبية لمفهوم الفضاء الإلكتروني ، إلا أنه لا يتحيز أو يهمل أي فئة من فئات المجتمع بحسب الجنس، او طبقتهم الاجتماعية والعرق، يمنح الأفراد فرصة ليعرضوا أفكارهم الشخصية، بل يتيحوا لهم الفرصة اذا ما ارادوا ذلك.

اقتراحات وتوصيات:

- دعم العلاقات الاجتماعية من المؤسسات المجتمع المدني ومؤسسات التنشئة الاجتماعية.

- توفير الدعم القانوني للممارسات الافتراضية في إطار قانوني وأخلاقي.

- تكاثف الجهود من أجل الإستخدام الجيد للفضاء الإلكتروني.

الهوامش

- ¹ - حسني، محمد نصر. (2017). اتجاهات البحث و التنظير في وسائل الاعلام الجديدة ، بحث مقدم الى مؤتمر التواصل الاجتماعي . جامعة محمد بن سعود الإعلامية. الرياض. السعودية. ص.10
- ² - نوال، بركات. (2014). الفضاء السيبري والعلاقات الاجتماعية في المجتمع الافتراضي. مجلة علوم الانسان والمجتمع. العدد 12. بسكرة. الجزائر. ص.274.
- ³ - خليفة، إيهاب. (2017). القوة الإلكترونية. العربي للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ص.27.
- ⁴ - قاقو، حجيبة (2018). الفضاء العمومي الإلكتروني و التعبئة السياسية الذكية . مجلة الدراسات العلمية. المركز الديمقراطي العربي. العدد 1، المانيا. ص 170.
- ⁵ - شريفة، طييبة، منير، الحمزة. (2019). الهوية الثقافية في الفضاء العمومي الافتراضي . مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية. العدد 1. تبسة. الجزائر. ص.56.
- ⁶ - طوالبية، محمد. (2019). إيديولوجيا الفضاء الرقمي دراسة في الخلفيات المرجعية . مجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية. العدد 21. الشلف. الجزائر. ص.52.
- ⁷ - عبد الحميد، صلاح، عاطف، يماني. (2015). الاعلام و الفضاء الإلكتروني. اطلس النشر والانتاج العلمي. الجيزة. ص.5.
- ⁸ - حسني، محمد نصر. المرجع السابق. ص 10.
- ⁹ - عبد الحميد، صلاح، عاطف، يماني. المرجع السابق. ص 5.
- ¹⁰ - طوالبية، محمد. المرجع السابق. ص 52.
- ¹¹ - بن عمر، بلقاسم امين. (2017-2018). دور الوسائط الاتصالية في تشكيل الفضاءات العمومية الهامشية النسائية داخل الحيز الافتراضي. اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه. تخصص علوم الاعلام والاتصال. جامعة مستغانم. الجزائر. ص. 72.
- ¹² - عبد الرزاق، الديلي. (2011). الاعلام الجديد و الصحافة الإلكترونية. ط2. دار وائل للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. ص 32.
- ¹³ - فريد، محمود عزت. (2018). الاتصال ووسائله الجماهيرية التقليدية و التكنولوجية . ط 1. دار النشر للجامعات. القاهرة. مصر. ص.23.
- ¹⁴ - فريد، محمود عزت. المرجع السابق. ص، ص 258-260.
- ¹⁵ - فريد، محمود عزت. المرجع السابق. ص، ص 258-260.
- ¹⁶ - فريدة، صغير، رضوان، رباح. (2018). نحو مقاربة المفهوم في ظل المجتمعات الافتراضية . مجلة الصورة والاتصال. العدد 22. وهران. الجزائر. ص، ص 122-123.
- ¹⁷ - فريدة صغير، رضوان رباح. المرجع السابق.
- ¹⁸ - طوالبية محمد . المرجع السابق. ص، ص 51-50.
- ¹⁹ - طوالبية محمد . المرجع السابق. ص، ص 51-50.
- ²⁰ - رحومة، علي محمد. (2005). الانترنت و المنظومة التكنو اجتماعية. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. لبنان. ص.62.
- ²¹ - إبراهيم، بعيز. (2011). الاستخدام المفرط لوسائل الاتصال الحديثة من قبل الافراد - الاثار و الانعكاسات . ورقة مقدمة في الملتقى الوطني الاول الموسوم بتأثيرات وسائل الاتصال على الافراد والمجتمعات. جامعة سطيف 2. الجزائر. ص 48.
- ²² - بن عمر، بلقاسم امين . المرجع السابق. ص 87.
- ²³ - هوارى، حمزة. (2015). مواقع التواصل الاجتماعي و اشكالية الفضاء العمومي. مجلة العلوم الإنسانية. العدد 06. بسكرة. الجزائر. ص 230.